الحقوق في القرأن القانون والمقنن في الرؤية القرآنية

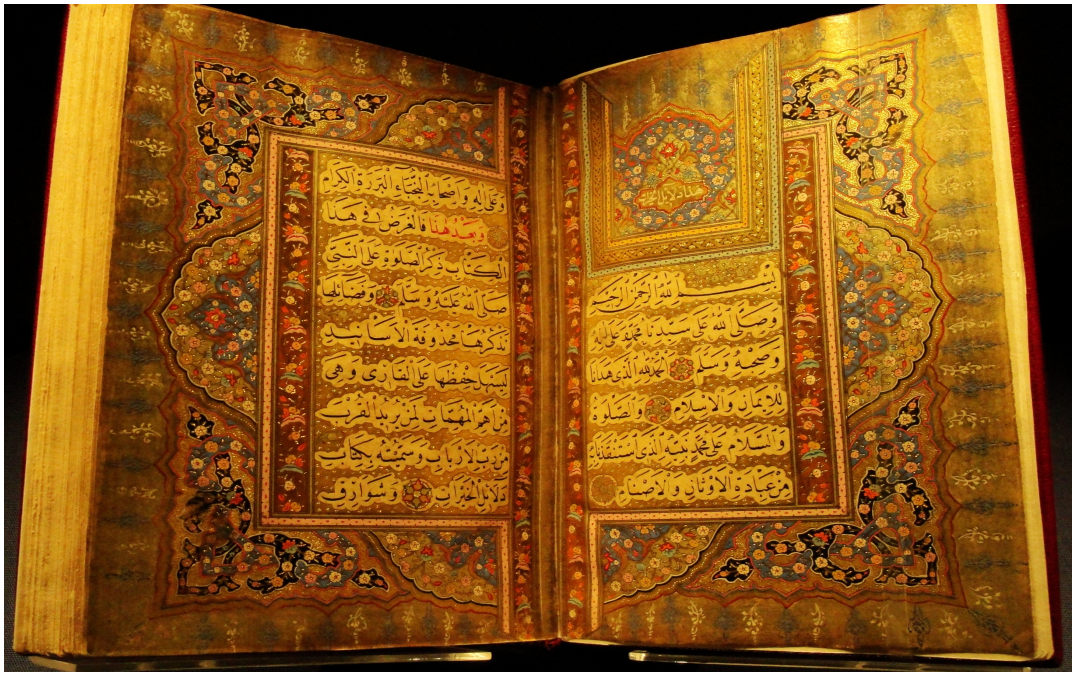

القانون والمقنن في رؤية القرآن

الفصل الثالث

الاسلام دين شمولي

انتهينا الى هذه النتيجة وهي ان القانون يجب أن يوضع ويبلّغ أما من قبل الله تعالى ، او الذين اوكل الله إليهم حقّ وضع القانون. كما ان القاضي والحكام يجب ان ينصبا من قبل الله سبحانه. هذه الامور من ضروريات الدين الاسلامي المقدس، ولا شكّ ولا شبهة في ذلك عند كلّ مسلم. ففي عقيدة جميع المسلمين ان الشريعة الاسلامية المقدسة قد أنزلت من قبل الله تعالى الى جميع شعوب العالم في كلّ العصور، وفيها قوانين وضوابط تشمل جميع الشؤون الفردية والاجتماعية، فهي إذن شاملة للاحكام الحقوقية أيضاً.

و عليه فان البشرية كُلّها – في كلّ زمان ومكان – مكلفة بالاطاعة الكاملة للدين، وفي المسائل

الحقوقية ـ ومنها تنصيب المقنن، القاضي ومنفّذ القانون ـ عليها اتّباع تعاليم وتكاليف هذا الدين المقدّس.

الرؤية القرآنية

ثمة آيات وروايات لا تحصى تدلّ على ما ذكرناه ـ على أساس العقل والمنطق ـ ولكن بما أنّ الموضوع العام لهذه السلسلة من البحوث هو «معارف القرآن» فانا نبحث حول الآيات القرآنية فقط ونغض الطرف عن الأحاديث والروايات

الآيات التي يمكن الاستفادة منها هنا تنقسم الى عدة مجموعات:

1 ـ بعض الآيات تفيد ان الدين المرضي عند الله تعالى هو الاسلام فقط، ومن يختار دينا غيره لا يقبل منه قال تعالى :

(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ)

و (قُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا)

و (أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ)

و (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)

2 ـ تدلّ بعض الآيات على أن الاختلافات بين الناس يجب حلها من خلال الرجوع الى كتاب الله وأحكامه قال تعالى :

(كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ)

يستفاد من هذه الآية بوضوح أن أنبياء قد بعثوا قبل نبي الاسلام الاكرم(ص) والقرآن الكريم، وقد انزلت كتب أخرى متضمنة أحكاماً حقوقية أيضاً، وكلما ظهر خلاف بين الناس كان على الكتاب الذي انزل على النبي أن يحكم ليرفع ذلك الخلاف، قال تعالى :

(شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ)

3 ـ من جهة أخرى ذمّ الله العظيم بشدة أولئك الذين منحوا لانفسهم حقّ التقنين، ووضعوا احكاما فردية او اجتماعية، ونسبوا تلك الاحكام أحيانا الى الله تعالى . هناك آيات عديدة بهذا الشأن نذكر نماذج منها:

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ)

و (وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)

و (وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ)

و هكذا الايات 137 الي 140، 143، 144، 148 و150 من سورة الانعام و35 و105 من سورة النحل و68 من سورة العنكبوت فيها اشارة الى هذا الموضوع. نعم بعض هذه الآيات ـ طبعاً ـ يتعلق بالمأكولات والمشروبات ولكن لا فرق اذ إنّ الملاك مشترك.

4 ـ في آيات عديدة يُؤمرُ نبي الاسلام الأكرم(ص) ويُؤكّدُ عليه باتباع الوحي فقط، وتحذره بشدة من اتباع آراء الآخرين منها قوله تعالى :

(وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ)

و (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ)

و (وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ)

و (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً؛ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً)

و (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ؛ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً)

و الآيات 106 و150 من سورة الانعام و109 من سورة يونس و15 من سورة الشوري تشير ايضاً الى هذا الأمر.

5 ـ في بعض الآيات يوصف الذين لا يحكمون طبق الحكم الالهي بانهم: فاسقون، ظالمون وكافرون، قال تعالى:

(وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا

أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)

و (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)

و(إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)

و تقول آية اخرى ضمن اشارتها الى أمثال هؤلاء:

(أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ)

6 ـ مجموعة أخرى من الآيات تعتبر «الحكم» مختصاً باﷲ تعالى ، وقبل ذكر هذه الآيات نوضح مفردة الحكم.

«الحكم والحكومة»

بمعنى القضاء تعني في الأصل المنع من وقوع الفساد، ومأخوذة من «حكمة اللجام» التي تطلق على حديدة في اللجام تكون على انف الفرس تمنعه عن مخالفة راكبه يقول الراغب: ويعني المنع بقصد الاصلاح، ويستفاد من «المنجد» ان «حكم» اذا تعدّى مع «في» كان بمعنى الحكومة ورئاسة المجتمع، و«إحكام» يعني الاتقان والاستحكام في الاعمال.

و «حاكم» يعني القاضي ومنفّذ الاحكام

و يمكن الاستفادة من هذا التعبير بان المراد من «حاكم» ليس هو من يقضي ويبدي الرأي فقط، بل من يملك القدرة على تنفيذ أحكامه ايضاً، وعليه فان المفردات: «الحاكم والحكومة والحكم خاصة في التعبيرات الإسلامية ظاهرة في الولاية العامّة وقيادة شؤون المجتمع الإسلامي كافّة»

و قد استعملت هذه المفردة أحيانا بمعنى الحكمة في القرآن، قال تعالى :

(يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً)

و استعملت تارة بمعنى القضاء في يوم القيامة، قال تعالى :

(قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ)

هذه الآية والآية السابقة تشير الى الحوار بين الضعفاء والمستكبرين في جهنّم:

(فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)

و استعمل «حكم» بهذا المعنى ايضا في الآيات 41 من سورة النساء و124 من سورة النحل و56 و69 من سورة الحج

و يستعمل «حكم» تارة بالمعني الفقهي المعروف ـ اي القانون، الفردي أو الاجتماعي ـ كقوله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ)

نلاحظ استعمال لفظ «حكم» بعد بيان حكم اجتماعي وحكمين فرديين، وتقول الآية 10 من سورة الممتحنة بعد بيان عدد من الاحكام الحقوقية:

(ذلک حکم ا يحكم بينكم وا عليم حكيم)

و الآيات التي يمكن الاستفادة منها في هذا البحث هي الآيات التي استعمل فيها كلمة «حكم» بمعنى القانون والأمر، وهكذا الآيات التي استعملت فيها الكلمة بمعنى الحكمية إذ إنّها أيضاً لا بد من استنادها الى القانون المجعول من قبل ا تعالى ، اليكم نماذج من هذه الآيات:

(إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ)

(إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ)

(إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)

من هذه الآية يمكن أن ندرک جيداً بان «حكم» له معنى وسيع جيداً يشمل جميع الاحكام الالهية، لان حكم ا وامره طبق هذه الآية هو أنْ لا يطيع الناس ولا يأتمروا لاحد غير ا تعالى .

(أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ)

(لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)

(فالحكم العلي الكبير)

(وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)

(مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً)

(أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً)

و استناداً الى هذه الآية فان الاعتقاد بان ا تعالى هو الحاكم والحكم يستلزم الحكم وفق الكتاب الذي انزله فقط.

(وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)

و لعل دلالة هذه الأية أوضح من الآيات السابقة لأنها صريحة في ارادة الاحكام والقوانين الحقوقية.

(قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)

الآية ليس فيها كلمة «حكم» إلّا أن مفهومها وسيع وتدل على ان الواجب هو اطاعة الهداية الالهية فقط،

والهداية الالهية تشمل الاحكام والقوانين التي انزلها ا تعالى .

7 ـ الآيات الكثيرة الدالة على «ملك» ا تعالى ، الملك ـ التكويني أو التشريعي ـ يعني المالكية والاحاطة بالشئ، أما «ملك» فيعني التدبير، السلطنة، الحكومة والادارة، والآيات نظير (ما في السّموات وما في الأرض) تدل على مالكية ا تعالى ، وهناك آيات كثيرة تدل على كونه تعالى مَلِكاً كقوله تعالى :

(أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ)

(وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

(وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ)

و في هذا المجال توجد آيات كثيرة تثبت جميعها ان تدبير شؤون المجتمع ـ من خلال التشريع، تنصيب القاضي والحاكم وولي الامر ـ مختص به تعالى ، إذ ان هذه الامور من شؤون تدبير البشرية وقسم من تدبير أمور العالم وهي تختص با سبحانه.

8 ـ ختاماً، يستفاد من آيات كثيرة تصف ا تعالى بمختلف التعابير بانه رب العالم، ان تدبير المجتمع بيد ا سبحانه فقط، و«الرب» هو الذي يملك كلّ شؤون مربوبه، وله التصرّف فيه كيفما شاء. هذا التصرّف تكويني تارة ـ أي إن الربّ يخلقُ مربوبه كما يحب ويربّيه ـ وتشريعي اخرى حيث يجعل له قانوناً ويصدر أحكاماً وضوابط بشأنه.

و قد ذكرنا في محله ان الاعتقاد بان ا تعالى خالق ورب تكويني ورب تشريعي لكل ما سوى ا من ضروريات الدين الاسلامي، ويمثل الحد الأدنى من العقيدة الواجبة واللازمة للمسلم، وعليه فان من لا يعتقد بربوبية ا التشريعية يفقد الدرجه الاولى من الاسلام، ان سبب كفر إبليس ـ مع علمه بان ا تعالى خالق ورب تكويني واعتقاده بالمعاد ـ هو انكاره ربوبية ا التشريعية واعراضه عن أمر ا، قال تعالى :

(فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ؛ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ؛ إِلا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ؛ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ؛ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ)

ان مجرد العصيان والتمرد معصية عملية لا اكثر، ولكن هذه المعصية العملية كانت تحكي عن عقيدة ابليس الفاسدة وهي ان ا تعالى لا يحق له ان يطلب السجدة من موجود شريف لوجود ضعيف، - كما يتصور هو - وهذا يرجع الى انكار الربوبية التشريعية تعالى . وعليه من تيقّن ان ا تعالى قد انزل حكماً خاصاً ـ وان لم يكن من ضروريات الاسلام حتى لو كان حكماً استحبابياً كعدد ركعات نافلة الصبح مثلا ـ ثم ينكر هذا الحكم عن علم فانه مرتد وكافر باطناً ومعنوياً وان لم يصدر حكم ارتداده ظاهراً، ولم

ترتب آثار على انكاره.

على أي حال ان ربوبية الله التشريعية تقتضي انتساب جميع شؤون التدبير وادارة المجتمع اليه، فهو الذي يجب ان يضع القانون مباشرة او مع الواسطة لكي لا يحدث شرك في التشريع، والقاضي والمنفّذ للقانون أيضاً يجب أن يكونا منصوبين من قبله، وإلّا فما هو الالزام الذي يتوجّه الى الناس المخلوقين والمربوبين لله تعالى في أن يطيعوا ويتبعوا من لا يراهم الله تعالى أهلاً للحكومة والحاكمية؟

كما قلنا إنّ الآيات بهذا الشأن كثيرة، منها الآيات التي تتحدث عن ولاية الله العامة على جميع مخلوقاته والانسان قال تعالى :

(وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ)

(وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ)

(وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ)

(وَكَفَى بِاللّهِ وَلِيّاً وَكَفَى بِاللّهِ نَصِيراً)

(قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ)

(هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ)

على أيِّ حال فان الله له الولاية على جميع مخلوقاته ـ ومنها الانسان ـ وتقتضى الولاية العامّة هذه أن ينحصر جميع شؤون التدبير والرئاسة وادارة المجتمع بيده.

الربوبية التشريعية لازم الربوبية التكوينية

ان الله تعالى هو الخالق ومفيض الوجود على كلِّ شئ ـ سواه ـ ويعنى ذلك:

أولاً: كل موجود يتلقى وجوده ـ آناً بعد آن ـ منه سبحانه، فليس له وجود من نفسه ولا يمكن ان يتلقاه من أى شئٍ آخر.

ثانياً: هو الذي يعطي للمخلوقات كمالها، وكل موجود يتلقى كمالاته اللائقه منه تعالى ، وبلسان فلسفي أن مفيض الوجود هو الله تعالى وحده، وبتعبير كلامي ان الربوبية التكوينية خاصة به. وفي القرآن الكريم اشارات الى هذه الربوبية التكوينية بالفاظ مختلفة: كـ (ملك، ولاية أمر، وتدبير الامر).

على أي حال إن كلّ شيء مدين لله تعالى في وجوده وكمالاته ـ وهكذا جميع الاشياء يكون كُلّها لله ـ ومن بين هذه المخلوقات يتلقى الأنسان وحده استكماله الارادي والحرّ أيضاً من الله سبحانه.

وقد اقتضت الربوبية الالهية التكوينية أنْ يحصل الانسان على كماله بارادته واختياره، واقتضت أيضاً أن تكون أرضية الاستكمال وتحصيل الكمال في متناول الانسان، فالانسان الذي ينبغي ان يطوي طريق الكمال

بحسن اختياره يجب أن تتهيأ له أرضية الانتخاب من قبل الله تعالى . يجب أن يعطيه قوّة معرفة الحسن والقبيح فبدونها لا يمكنه أن يعرفهما، فلا يستطيع ان يسير في طريق الخير أو الشر بحريته. إلّا أن هذا لوحده غير كافٍ بل ـ اضافة الى قوة المعرفة ـ لا بد من وجود انجذاب للشر والخير في الانسان، وإلّا لن تكون أرضية الانتخاب الحر مهيأة.

و في هذا الاتجاه أعطى الله تعالى لبني آدم قوة تشخيص الخير، من الشر والانجذاب والرغبة في كلِّ من الخيرات والشرور، ففي باطن كل انسان ـ الى حدٍّ ما ـ انجذاب الى الحقِّ والخير، والصلاح كما يوجد انجذاب الى الباطل، الشر، الفساد والافساد، ورُبَّما يكون الانجذاب الى الباطل والشر أقوى في الكثير من الناس.

و بما أن العقل الانساني ـ قوة تمييز الخير من الشر ـ وحده لا يكفي ويعجز غالباً عن درك المصالح والمفاسد الدنيوية والاخروية، وكذلك درك أفضل الطرق للوصول الى المصالح الواقعية والسعادة الأبدية، فقد وضع الله تعالى أحكاماً وقوانين يستطيع الناس بها تحصيل مصالحهم ويعرفون طريق ومنهج تحقيقها.

و من جهة اخرى لكي يوجد في باطن الانسان دافع لاطاعة الاحكام والقوانين ابلغه بها في صورة الاوامر والنواهي، وما ينبغي وما لا ينبغي، لان في الجمل الانشائية تأثيراً نفسياً خاصاً تجذب الانسان نحو الاطاعة والعمل.

الربوبية التشريعية الالهية إذن غير منفصلة عن الربوبية التكوينية الالهية بل هي فرعها ونتيجتها، وبما أن وجود الانسان وارادته وكمالاته التي يكسبها وجميع النعم والمواهب التي يمكن ان يستعين بها في طريق الوصول الى كمالاته الحقيقية هي كُلّها من الله وجب أن توضع وتجعل الأحكام والقوانين الحاكمة على الحياة الفردية والاجتماعية للانسان من قبله وحده. وبالتالي لا يملك أي شخص حق التقنين والتشريع للناس إلّا إذا كان مأذونا من قبل الله تعالى ، وله اجازة مثل هذا العمل. ولذا يصرح القرآن الكريم بان اليهود والنصارى مشركون لاعتقادهم بنوع من الربوبية التشريعية لعلماء الدين.

(اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)

لا شكَّ أنَّ اليهود والنصارى لم يعتقدوا بان علماءهم ورهبانهم والسيد المسيح(ع) خالقون ومدبّرون للعالم ولم يمنحوهم الربوبية التكوينية، ودليل شركهم هو أنّهم كانوا يطيعون علماء الدين ـ مطلقا وبدون مناقشة ـ معتقدين ان اطاعة علماء الدين وارباب الكنيسة واتباعهم واجب في كلِّ الاحوال، سواء تطابقت اقوالهم وافعالهم مع الاحكام والقوانين الالهية أم لا. ان شرك هؤلاء ـ طبعاً ـ في الربوبية التشريعية لأنهم منحوا علماء الدين حق التشريع بصورة مستقلة عن الله تعالى . والقرآن الكريم يعتبر حتى المسلمين مشركين فيما لو اطاعوا الكفار والمشركين والمنافقين:

(وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ

أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ)